بسم الله الرحمن الرحيم

جدد إيمانَكَ بالله مع أساسيات الدين الإسلامي

تاريخ الطباعة:13 صفر 1431 هجري إعداد:خالد المغربي – فلسطين – القدس – المسجد الأقصى
وفق: 2010/01/29م www.al-msjd-alaqsa.com

توحيد الربوبية

إن أهم ما قد يعرفه ويتعلمه الإنسان أو يعلمه لأهله وللناس، معرفته بربه، وهذا هو الأصل الأول من الأصول الثلاثة المهمة في حياة الإنسان، معرفة الإنسان بربه، معرفة الإنسان بنبيه ومعرفة الإنسان بدينه، أما معرفتنا بالله فتقسم لثلاثة أقسام وهي معرفتنا بوحدانية الله أو توحيد الألوهية، ومعرفتنا بتدبير وربوبية الله وهي توحيد الربوبية ثم معرفتنا بكمال وتمام وثبات صفات وأسماء الله وهي توحيد الأسماء والصفات، وفيما يتعلق بتوحيد الربوبية نعني أن نتيقن أن كل ما يحدث في السماء والأرض وما يحدث معنا وحولنا هو من تدبير وفعل الله، ذلك أننا ضعفاء لا حول لنا ولا قوة، والحول كل الحول هي لله، والقوة كل القوة هي من عند الله، يمدنا بها ويمكننا منها، فالإنسان لوحده عاجز عن أخذ نفس هواء، عاجز عن النطق بكلمة أو سماعها، عاجز عن رؤية صورة أو التحرك من مكان لمكان أو حتى تحريك عضلة بجسده، فهو بحاجة للقوي الجبار سبحانه وتعالى في كل شؤونه كبيرها وصغيرها، ليس الإنسان فحسب بكل كل المخلوقات التي خلقها الله، اللهم يدبر لها أمرها، فالله هو رب الناس ورب الملائكة ورب الجان ورب الدواب ورب السماوات والأرض ورب العرش، وهو رب العالمين. وأنه من أعظم نعم الله علينا انه هو ربنا، فهو مربينا وهو مدبر أمورنا ورازقنا والمتصرف بشؤوننا، ولو أن تدبير الأمور أوكل لغيره عز وجل لفسد الكون كله ولفسد كل من فيه. وكون الله هو الرب، فهذا من عظيم رحمة الله وتعالى علينا، فرحمة الله علينا كبيرة جداً، لدرجة أن الله سبحانه وتعالى يتجاوز عن أخطائنا

الكثيرة والمستمرة، فلو أراد الله أن يأخذ كل مذنب بذنبه وكل مخطئ بخطئه وكل عاصي بمعصيته وكل كافر بكفره وكل مشرك بشركه، لوجدنا أن العذاب قد حل بكل فرد على وجه الأرض.

في معنى كلمة (العالمين)

كلمة (العالمين) هي جمع (عوالم: وهي أصناف المخلوقات في السماوات وفي البر والبحر)، وعوالم هي جمع (عالم: وهم كل مخلوقات الله ومتعلقاتها في صنف معين من خالق)، فالإنس عالم، والجن عالم، والملائكة عالم، والطير عالم، والحجر عالم، والماء عالم، والسمك عالم، وهكذا، بهذا تصبح (العالمين: هم كل ما هو موجود سوى الله تعالى سبحانه وتعالى)، و(عالم) جمعٌ لا واحد له من لفظه. وقيل العالم تجمع على العوالم وعلى العالمين لكن اختيار العالمين على العوالم أمر بلاغي يعني ذلك أن العالمين خاص للمكلفين وأولي العقل بحيث لا تشمل غير العقلاء، ومن قال بهذا استدل بقوله تعالى (تَبَارَكَ الَّذِي نَزَّلَ الْفُرْقَانَ عَلَى عَبْدِهِ لِيَكُونَ لِلْعَالَمِينَ نَذِيرًا) (الفرقان25: 1)، حيث قالوا أنه من المؤكد ان الله ليس نذيراً للبهائم والجماد. فاستدلوا على أن المقصود بالعالمين أولي العقل وأولي العلم أو المكلفون، إلا أنني أرى أن العالمين تشمل جميع مخلوقات الله، لأن ربوبية الله وتدبير أمره يمتد من العقلاء إلى غير العقلاء، فالله هو رب الشجر والحجر والمطر والدواب، أما الآية السابقة فقد خصصت لمن يمكن إنذاره من العالمين، فكان العالمين العقلاء جزء من كل العالمين، أنظر لقوله عزّ وجلّ في سورة الشعراء (قَالَ فِرْعَوْنُ وَمَا رَبُّ الْعَالَمِينَ * قَالَ رَبُّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا إِنْ كُنْتُمْ مُوقِنِينَ) (الشعراء26: 24)، والعالم مشتق من العلامة، لانه دال على وجود خالقه وصانعه وعلى وحدانيته جلّ وعلا كما قال ابن المعتز:

فيا عجباً كيف يُعصى الإله ... أم كيف يجحده الجاحد

وفي كل شيء له آية ... تدل على انه واحد

وهناك أقوال أخرى للعلماء حيث ساوى بعضهم بين (العالم) و(العالمين)، فقد قال الفراء وأبو عبيد، (العالم عبارة عمّا يعقل وهم الإنس والجنّ والملائكة والشياطين، ولا يقال للبهائم عالم). وقال الزجاج: (العالم كل ما خلق الله في الدنيا والآخرة، وقال القرطبي وهذا هو الصحيح أنه شامل لكل العالمين).

العالمين تتغير في كل لحظة وقد تدل على جزء معين من الناس

قلنا أن العالمين هم كل مخلوقات الله، وما لا شك فيه أن مخلوقات الله تتغير في كل لحظة من اللحظات، فمنهم من يموت ومنهم من يحيى ومنهم من يمرض ومنهم من يشفى وهكذا، في كل لحظة هناك عالمين تختلف عمن سبقوهم في اللحظة الفائتة. ومن هنا نستطيع أن نفهم أن تفضيل الله لليهود على العالمين في قوله عز وجل (يَابَنِي إِسْرَاءِيلَ اذْكُرُوا نِعْمَتِيَ الَّتِي أَنْعَمْتُ عَلَيْكُم وَأَنِّي فَضَّلْتُكُم عَلَى الْعَالَمِينَ) (البقرة2: 47)، (البقرة2: 122)، لا يعني أنه فضلهم على باقي مخلوقاته كل الزمان، ولكنه أعطائهم في تلك اللحظة الأفضلية على باقي المخلوقات ويبقى الأمر بيدهم للمحافظة على هذه الأفضلية أو تركها، وما نعلمه أنهم تركوا هذه الأفضلية لأنه بعدما فضلهم على العالمين غضب عليها ويقول عز وجل (وَإِذ قُلْتُم يَمُوسَى لَن نَصْبِرَ عَلَى طَعَامٍ وَاحِدٍ فَادْعُ لَنَا رَبَّكَ يُخْرِج لَنَا مِمَّا تُنبِتُ الْأَرْضُ مِن بَقْلِهَا وَقِثَّائِهَا وَفُومِهَا وَعَدَسِهَا وَبَصَلِهَا قَالَ أَتَسْتَبْدِلُونَ الَّذِي هُوَ أَدْنَى بِالَّذِي هُوَ خَيْرٌ اهْبِطُوا مِصْراً فَإِنَّ لَكُم مَا سَأَلْتُم وَضُرِبَت عَلَيْهِمُ الذِّلَّةُ وَالْمَسْكَنَةُ وَبَاءُو بِغَضَبٍ مِنَ اللَّهِ ذَلِكَ بِأَنَّهُم كَانُوا يَكْفُرُونَ بِأَيَاتِ اللَّهِ وَيَقْتُلُونَ النَّبِيِّينَ بِغَيْرِ الْحَقِّ ذَلِكَ بِمَا عَصَوا وَكَانُوا يَعْتَدُونَ) (البقرة2: 65)، ويقول (وَلَمَّا جَاءَهُم كِتَابٌ مِن عِندِ اللَّهِ مُصَدِّقٌ لِمَا مَعَهُم وَكَانُوا مِن قَبْلُ يَسْتَفْتِحُونَ عَلَى الَّذِينَ كَفَرُوا فَلَمَّا جَاءَهُم مَا عَرَفُوا كَفَرُوا بِهِ فَلَعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الْكَافِرِينَ * بِئْسَمَا اشْتَرَوْا بِهِ أَنفُسَهُم أَن يَكْفُرُوا بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ بَغْياً أَن يُنَزِّلَ اللَّهُ مِن فَضْلِهِ عَلَى مَن

يَشَاءُ مِن عِبَادِهِ فَبَاءُو بِغَضَبٍ عَلَى غَضَبٍ وَلِلْكَافِرِينَ عَذَابٌ مُهِينٌ) (البقرة2: 89-90)، ويقول (قُلْ هَل أُنَبِّئُكُم بِشَرٍّ مِن ذَلِكَ مَثُوبَةً عِندَ اللَّهِ مَن لَعَنَهُ اللَّهُ وَغَضِبَ عَلَيْهِ وَجَعَلَ مِنْهُمُ الْقِرَدَةَ وَالْخَنَازِيرَ وَعَبَدَ الطَّاغُوتَ أُولَئِكَ شَرٌّ مَكَاناً وَأَضَلُّ عَن سَوَاءِ السَّبِيلِ) (المائدة5: 60)، ويقول (إِنَّ الَّذِينَ اتَّخَذُوا الْعِجْلَ سَيَنَالُهُم غَضَبٌ مِن رَبِّهِم وَذِلَّةٌ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَكَذَلِكَ نَجْزِي الْمُفْتَرِينَ) (الأعراف7: 152)، وبهذا أصبح غضب الله عليهم صفتهم اللازمة ليوم الدين وذلك في قوله عز وجل (غير المغضوب عليها ولا الضالين) (الفاتحة1: 7) والعالمين هنا هي أيضا رد على اليهود الذين ادعوا أن الله تعالى هو رب اليهود فقط فجاءت رب العالمين لتشمل كل العالمين لا بعضهم، وقد تأتي كلمة العالمين لتدل على جزء من الناس كما في قصة سيدنا لوط، يقول سبحانه وتعالى في سورة الحجر **15** – آية **70** (قَالُوا أَوَلَمْ نَنْهَكَ عَنِ الْعَالَمِينَ) جاءت العالمين هنا بمعنى قسم من الناس.

(رب العالمين) توسطت (الحمد لله) و (الرحمن الرحيم)

عندما جاءت (رب العالمين) بين الحمد وبين الرحمة، دلت على أن كل ما نتمتع به من نعم صغيرها وكبيرها ظاهرها وخفيها إنما هو من عند الله، فالحمد كما نعلم هو مجمل الشكر، والشكر يكون لإظهار المنة والفضل على النعمة والعطية، ودل بنفس الوقت أن كل نعمة نتنعم بها لا تصلح إلا برحمة الله، ولولا هذه الرحمة لما استطعنا الاستفادة منها والتنعم بها، فكيف يصلح الهواء للتنفس بدون رحمة الله التي جعل في جسد مخلوقاته الأجهزة التي تمكنه من الاستنشاق وانتزاع الأكسجين منه، فالأنف والقصبة الهوائية والرئتين والدم وقدرة الخلية على الاستفادة من الأكسجين، كلها وغيرها كثير هي محطات رحمانية تمكننا من الاستفادة من نعمة الهواء، قال القرطبي: (إنما وصف نفسه بالرحمن الرحيم بعد قوله (رب العالمين) ليكون من باب قرن الترغيب بالترهيب كما قال تعالى في

سورة الحجر (نَبِّئْ عِبَادِي أَنِّي أَنَا الْغَفُورُ الرَّحِيمُ * وَأَنَّ عَذَابِي هُوَ الْعَذَابُ الْأَلِيمُ) (الحجر15: 49-50) وقوله في سورة الأنعام (إِنَّ رَبَّكَ سَرِيعُ الْعِقَابِ وَإِنَّهُ لَغَفُورٌ رَحِيمٌ) (الأنعام6: 165) فالرب فيه ترهيب، والرحمن فيه ترغيب، وفي الحديث: (لو يعلم المؤمن ما عند الله من العقوبة ما طمع في جنته أحد، ولو يعلم الكافر ما عند الله من الرحمة ما قنط من رحمته أحد)" رواه مسلم عن أبي هريرة مرفوعاً.

من أعظم صور ربوبية الله علينا أنه هدانا

جاء في الحديث القدسي عن رب العزة أنه قال (كلكم ضال إلا من هديت)، فكيف كان سيكون حالنا لو أن الله لم ينعم علينا بالهداية، كيف كانت ستكون أفعالنا وتصرفاتنا ومعاملاتنا بين بعضنا البعض، لننظر للمجتمعات الغربية اليوم وقد كان فيهم رسل فيما مضى، وجاءهم الهداية وضلوا بعدها، للنظر إلى الجرائم المتفشية فيها من قتل واغتصاب وسرقة ونصب واحتيال، سنجد أنهم يعيشون عالما سفليا سفيها وهذا بعدما ضلوا بعد الهدى، فكيف كان سيكون حال الناس بلا هداية أصلا، فالحمد لله على هدايته وعلى هداه، وهذه بعض آيات القرآن الكريم الدالة على أنه هو الهادي عز وجل: يقول عز وجل (قَالَ فَمَنْ رَبُّكُمَا يَا مُوسَى * قَالَ رَبُّنَا الَّذِي أَعْطَى كُلَّ شَيْءٍ خَلْقَهُ ثُمَّ هَدَى) (طه20: 49-50)، ويقول (ثُمَّ اجْتَبَاهُ رَبُّهُ فَتَابَ عَلَيْهِ وَهَدَى) (طه20: 122)، ويقول (سَبِّحِ اسْمَ رَبِّكَ الْأَعْلَى * الَّذِي خَلَقَ فَسَوَّى * وَالَّذِي قَدَّرَ فَهَدَى) (الأعلى87: 1-3)، ويقول (قُلْ إِنَّنِي هَدَانِي رَبِّي إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ دِينًا قِيَمًا مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ) (الأنعام6: 161)، ويقول (وَقُلْ عَسَى أَنْ يَهْدِيَنِ رَبِّي لِأَقْرَبَ مِنْ هَذَا رَشَدًا) (الكهف18: 24)، ويقول (قَالَ كَلَّا إِنَّ مَعِيَ رَبِّي سَيَهْدِينِ) (الشعراء26: 62)، ويقول (وَقَالَ إِنِّي ذَاهِبٌ إِلَى رَبِّي سَيَهْدِينِ) (الصافات37: 99)، ويقول (إِلَّا الَّذِي فَطَرَنِي فَإِنَّهُ سَيَهْدِينِ) (الزخرف43: 27)، ويقول (وَلَمَّا تَوَجَّهَ تِلْقَاءَ مَدْيَنَ قَالَ عَسَى رَبِّي أَنْ يَهْدِيَنِي سَوَاءَ السَّبِيلِ) (القصص28: 22).

اللهم إهدنا فيما هديت، وعافنا فيمن عافيت، وتولنا فيما توليت يا رب العالمين

وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم

www.al-msjd-alaqsa.com